الأثر الديني في شعر السيد محمد محمد صادق الصدر

(مجموعة أشعار الحياة إنموذجا)

أ .د عهود حسين جبر

أ.م . دميساء صلاح وداي

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة :

يتناول البحث عالم من علماء النجف الاشرف ترك بصمة كبيرة في تاريخ المجتمع العراقي وكان صرخة مدوية بوجه الطغيان وقد اسكتته يد الظلم والعدوان ،ولكن هذه الصرخة ظل صداها يدور في الافلاك يهز عروش الطغاة ، وسوف نتلمس هذه الشخصية من خلال الفاظه وأشعاره التي هي مرآة لافكاره وهواجسه متناولين أثر التراث في شعره ،فالشاعر هو أبن البيئة التي يعيش فيها بماضيهاوحاضرها .

وقد بدأ المبحث الاول بالتركيز على حياة السيد محمد محمد صادق الصـــــــــــــــدر .

وكان لابد للبحث أن يتناول بيئة النجف الاجتماعية والعلمية لما لها من اثر واضح في شعره

وكان للمبحث الثاني وقفة عند أثر التراث الديني في شعره ، وقد كان لهذا الاثر المقام الاول في شعره ، وهذا أمرطبيعي لعالم تربى في بيئة أصطبغت بالطابع الديني ، ومن أهم المؤثرات في شعر السيد الصدر القرآن الكريم .

وكان اغلب إتكائنا على الديوان والقليل الذي كتب عن هذا الشعر الذي لم ير النور الابعد سقوط النظام ونتمنى أن يكون هذا البحث من ضمن سلسلة بحثية

تلقي الضوء على ماأنتجه هذا العالم الكبير في الشعر وغيره من المجالات العلمية والفقهيه ،وآخر دعوانا ان الحمد للّه رب العالمين .

المبحث الاول :

أ ـ حياة السيد محمد محمد صادق الصدر :

هو السيد محمد بن محمد صادق بن أسماعيل بن صدر الدين محمد بن صالح يرجع نسبه الشريف الى الامام علي (عليه السلام) (١)

وأشهر ألقابه الصدر وهو لقب الاسرة (٢)

ولد السيد في ١٧ ربيع الاول عام ١٣٦٢، الموافق ٢/٢٣ / ١٩٤٣. في مدينة النجف الاشرف (٣)

نشأالسبد الصدر في ظل اسرة دينية وعلمية ضمت مجموعة من كبار العلماء وقد تتلمذ على يد كبار العلماء في الحوزة الشريفة وقد بدأ الدراسة فيها في سن مبكرةو درس مجموعة من المعارف والعلوم منها الفلسفة الالهية والاصول والفقه وقواعد اللغة العربية (٤)

واصل السيد الصدردراسته الحوزوية بعد تخرجه من كلية الفقه وكانت العلوم التي يتقنها الفقه والاصول واللغة وعلم الرجال والفلسفة وعلم الكلام وغيرها (٥)

شهدت الحياة السياسية في العراق التي عاصرها السيد الصدر أضطرابا وقلقا واسعا إذ توالت أحداث جسام على هذا البلد الجريح ومر بحروب وكوارث عصفت بالمجتمع وكان لها الاثر السلبي في حياته ولاسيما بعد أن كان البلد تحت نير حكم سلطة ظالمة تحارب الدين بكل الوسائل والطرق ،

وقد أشار السيد الصدر في قصيدة من قصائده الى السلطة التي تحكم العراق ووصفها بدولة الظلم والعبث والعوج والملق والى ذلك من الصفات الشنيعة التي طبعت هذه الدولة بطابعها فقال :

وهذه رُبى الدهر إذيُحمى الذمار بها للظالمين وتفنى دولة القمر

وقال في موضع آخر من القصيدة :

هذه ربى الدهر لايمى الذمام بها للمخلصين وتبقى دولة العوج (٦)

في ظل تلك الظروف العصيبة، أعلن السيد الصدر مشروعه الاصلاحي والجهادي وهو كما قال رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام (كلمة حق عند سلطان جائر)، واستطاع من خلال خطب الجمعة ان ينشر الوعي الديني والاجتماعي بين طبقات واسعة من المجتمع ،وكان من الطبيعي أن تفكر السلطة الجائرة بأسكات صوت الحق فكان إستشهاده على يد جلاوزة النظام السابق في ١٩ شباط ١٩٩٩ .(٧)

ولم يكن ذلك الاستشهاد وليد الصدفة فلطالما أنتظر السيد الصدر هذا اليوم وتمناه ، وقد ردد ذلك في أشعاره ،فلم تكن تعنيه هذه الدنيا الفانية متطلعا الى حياة أبدية وصعود نحو الخلود ،و نجد ذلك في قوله :

ومن العقل أن نمر بضـــيم في سبيل الصعود نحو الخلـــــود

أونذوقن وقع السيوف قليلا في سبيل النصر الجميل الاكيـــــد

فمتى نكـــحل العين بمرآ ك لتحيا حياتها من جديـــــــــــد (٨)

و يالها من دعوة أن تصعد روحه محلقة في سماء الخلود ،تاركة هذه الدنيا الفانية ومافيها من ظلم وجور.

وقال في موضع آخر وكأنه يعش لحظات إستشهاده وهو يجود بأنفاسه الاخيرة :

يادفقة النور جيئيني فما برحت بقية الروح تذوي من الالـــــــم
هلا أتيت لكي تبقى بقـــــــيته فإنه سائر في هوة العـــــــدم
لتجمعي قطع الجسم الجريح معا وتشعلي النور في همي وفي سقمي
وتشعلي النار نار الحب في كبدي لتصعد الـــــروح في عرْ الى إرم
وإنني بانتظار النور يصعد بي نحو الخلود لكي احيا من العدم (٩)

وكأن هذه الكلمات نبوءة شهيد واستجابة من الله سبحانه وتعالى لأمنية مجاهد وضع روحه بين يدي خالقه سبحانه حتى يحقق أمرا كبيرا ،وقد تحقق للسيد الصدر ماتمناه وسطع نور الشهادة ، فأخذه حيث الخلود الابدي.

ب- الملامح الثقافية والاجتماعية في بيئة النجف الاشرف :

تعد مدينة النجف الاشرف من الحواضر الاسلامية العريقة وقد كان لوجود مرقد الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الاثر الاكبر في طبعها بهذا الطابع الديني المحافظ ، وعلى الرغم من التطور الهائل الذي شهده العالم ،فقد احتفظت هذه المدينة العريقة بطابعها الخاص وتحتل مكانة دينية متميزة وهي من ضمن أربعة مدن مقدسة في العالم العربي بعد مكة والمدينة المنورة والقدس الشريف (١٠)

وقد كانت مدينة النجف الاشرف قبلة للعلماء وطلاب المعرفة إذقصدوها من جميع أصقاع الدول العربية والاسلامية ،لذا نجد ذلك التنوع العجيب في تركيبتها السكانية ، وتجمع السكان حول المرقد الشريف من مختلف الجنسيات ،والاصول واللغات . (١١) (فمن الدول الاجنبية التي يأتي طلابها الى مدينة النجف الاشرف إيران والهند أذربيجان والقوقاز وأفغانستان ،والعربية لبنان وسوريا واليمن وبعض مناطق الخليج العربي كالسعودية والبحرين وعمان)(١٢)

وقد شهدت هذه المدينة حركة علمية كبيرة ولاسيما علوم الشريعة والفقه والبلاغة واللغة وغيرها من العلوم.

المبحث الثاني:

الأثر الديني في شعر السيد الصدر

أ- القرآن الكريم :

كان للقرآن الكريم الاثر الكبير في الشعر العربي ،فقد احتذى الشعراء معانيه وألفاظه ، (ولم يؤاخذ الشاعر على إستقائه جملة أو آية من القرآن الكريم بل سماه النقاد اقتباسا) (١٣)

وقد كان للاثر القرآني نصيبا في شعر السيد الصدر وقد أخذ من الفاظ القرآن الكريم بما يتلاءم

بالذي يريد أن يعبر عنه (فالقرآن أخذ من ألفاظ اللغة ماهو أقدر على الاحاطة بالمعنى وأبلغ في تقديمه) (١٤) وقد ألقى القرآن الكريم بظلاله على شعر السيد الصدر وقد حفل بالالفاظ والجمل المختلفة التي جاء بها القرآن الكريم ولم يأخذ السيد الصدر الآية القرآنية نصا وأنما غير في ترتيب الالفاظ وورودها في الآية الكريمة وبحسب سياقها محتفظا بروح الآية ومعناها ومن ذلك قوله:

لاتبدل بالكفر نعمة ربي لتنال الجزاء كل بلاء
فهي بالشكر يستدام بقاها وبكفرانها زوال العطاء (١٥)

وهي مأخوذه من قوله تعالى: (بالشكر تدوم النعم)(١٦).

وقوله :

وكنت تشعر بالشأن العظيم لما يحويه بيتك من أرزاق معطيكا
تقول انت الذي قد كنت جامعه بكد كفك والعلم الذي فيكا (١٧)

مأخوذة من قوله تعالى: (أنما أوتيته على علم عندي)[١٨]

وفي قصيدة يرثي بها وفاة الست شعاع بنت الشيخ مرتضى آل ياسين :

لاغرو إن بكت السماء لفقدها أرخت يبكي الشمس فوت شعاعها [١٩]

مأخوذة من قوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء والارض وماكانوا منظرين) [٢٠]

وقوله في قصيدة شطرها للشيخ حسن الدمستاني البحراني:

أبـــــا حسن أنت نور اليقين ومنبع قيص الى العالمين

على الحوض أنت الامام المبين فإن شئت تشفع للمذنبين

وإن شئت تسفع بالناصية [٢١]

مأخوذة من قوله تعالى : (لنسفعا بالناصية) [٢٢]

وقوله من الشعر المنثور في قصيدة بعنوان إنقلاب :

عجبا لهذا القلب

كيف إحترق تحت لهب الزمان

وامتصت نضارته

آلام الحياة

فأصبح كالعرجون القديم [٢٣]

مأخوذة من قوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) [٢٤]

وقال أيضا من الشعر المنثور :

وتنشر عبيره

هناك

حيث الفاكهة لامقطوعة ولاممنوعة

وحيث الفرش مرفوعة (٢٥)

مأخوذة من قوله تعالى : (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة وفرش مرفوعة)(٢٦)

المدائح النبوية الشريفة ومديح أهل البيت :

ونعني بها المدائح التي قيلت في شخص الرسول عليه الصلاة والسلام وتعداد مناقبه وصفاته ، وقد بدأ هذا اللون من الشعر في حياة الرسول ، على يد مجموعة من شعراء المسلمين من أشهرهم كعب بن زهير في بردته المشهورة ،واستمر المديح النبوي الشريف وازدهر في العصر الوسيط وكان لهذا الازدهار أسبابه ومن أهم هذه الاسباب ماحل بالامة الاسلامية من جور وظلم على يد المغول والتتر وقد استمرت هذه المدائح الشريفة الى العصر الحاضر ، وقد كان لهذه المدائح نصيب في شعر السيد الصدر في مخمسته بقوله :

تقدست من حاكم عالم وبوركت من نير دائم
وعظمت من قيم قائم تخيرك اللّه من آدم
ولولاك آدم لم يخلق
لنورك قد خضعت في المضي جميع الخلائق في المقتضي
به صلب آدم منها حضي بجبهته كنت نورا مضي
كما ضاء تاج على مفرق (٢٧)

وكان لأهل البيت نصيب من شعر السيد الصدر ،وفي مديح الامام علي عليه السلام:

علي كفيل النجاة في ولاه منار التقى والتقى في علاه
حكيم عظيم في علاه أبا حسن أنت عين الإله

فهل عنك تعزب خافية

أبا حســـــــن أنت نور اليقين ومنبع قدس الى العالمين

على الحوض أنت الامام المبين فإن شئت تشفع للمذنبين

وإن شئت تسفع بالناصية (٢٨)

وفي قصيدة أخرى بعنوان(توسل) يعدد الأئمة عليهم السلام متوسلا بالله بحق هؤلاء الائمة الاطهار :

بحـــق من أرسلته وبنته والمرتضى

وابنيه والسجاد و الباقر آية الرضا

والصادق الوعد وكا ظم المآسي والرضا

ثم الجواد وإبنـــــه والعسكري المرتضى

وحجة اللّه الـــــذي بحبه ختم القضـــــا (٢٩)

الخاتمة :

وقد تمخض البحث عن النتائج الاتية :

ـ من خلال أستقرائنا لديوان السيد محمد محمد صادق الصدر وجدنا شعرا يمثل واقع السيد الصدروهواجسه وقد كان شعرا واضحا يكاد يخلو من الصنعة والزخرف وقد ذكر ذلك في مقدمة أشعاره إذ قال :(إنني تعمدت الابتعاد عن العنوان الادبي البراق لكي يمثل حياتي الفعلية التي يسيطر عليها الجد والعمل وتكاد تخلو من الوهم والخيال)

ـ وكان شعره كلاما يعبر عن احاسيس لربما كان يريد أن يتخفف منها من خلال نظمها شعرا ولم يكن الهدف هو إتخاذ الشعر طريقا أو حرفة كما قال السيد الصدر في مقدمة أشعاره ،ويبدو أن مكانة السيد الصدر في المرجعية هي التي أبقت

هذه الموهبة والشعر في هذه الحدود وحالت دون الانطلاق الى افق أرحب وأكثر إيغالا في عالم الشعر وقد كان السيد الصدر قادرا على ذلك فهو يمتلك الموهبة والثقافة ، ولكنه حاول أن يبقى في هذه الحدود ومايتلاءم مع مقامه في المرجعية .

ـ يمثل شعر السيد الصدر مصدرا من المصادر الموثوقة في دراسة المجتمع العراقي بصورة عامة والمجتمع النجفي بشكل خاص وماساد فيه من عادات وتقاليد وأحداث .

المصادر والمراجع :

ـ القرآن الكريم .

ـ الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون دعباس علي حسين الفحام منشورات الفجيرة بيروت ـ لبنان ط١ ٢٠١٠ .

ـ تاريخ الحيرة الكوفة الاطوار المبكرة للنجف الاشرف تأليف كريم مرزة الاسدي مطبعة العرفان ـ النجف الاشرف ط١ ٢٠٠٧ م .

ـ تاريخ النجف الاجتماعي (١٩٣٢ ـ ١٩٦٨ م) تأليف د عبد الستار شنين الجنابي مؤسسة ديموبرس للطباعة ـ بيروت ط١ ٢٠١٠م .

ـ شذرات من سيرة السيد الشهيد محمد الصدر، تأليف نخبة من الباحثين ، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر مطبعة الشروق ط١ ١٤٣٠هـ .

ـ الصدر الثاني ،دراسات في فكره وجهاده ،تأليف نخبة من الباحثين ،مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الاسلامية ط١ ٢٠٠٤ م .

ـ مجموعة أشعار الحياة السيد محمد الصدر دار ومكتبة البصائر بيروت ـ لبنان ٢٠١١ .

ـ المشجر الوافي.تأليف السيد حسين أبوسعيدة الموسوي ،مؤسسة عاشوراء ،قم المقدسة ،ط١ ، ٢٠٠٤ م.

- محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ،، مشروعه التغييري ووقائع الاغتيال ، تأليف عادل رؤوف المركزالعراقي للاعلام والدراسات ،دمشق ط ٨ ٢٠٠٥ م.

- النجف وحركة التيار الاصلاحي(١٩٠٨ ـ ١٩٣٢) ، تأليف عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي ، دار القارئ ، ط١ ، ٢٠٠٥ م.

الهوامش :

(١) المشجر الوافي : ٣/ ٢٠١٠ .
(٢) ينظر شذرات من سيرة السيد الشهيد محمد الصدر : ٧.
(٣) المصدر نفسه : ١٥.
(٤) ينظر الصدر الثاني ،دراسات في فكره وجهاده : ٢١ .
(٥) ينظر شذرات من سيرة السيد الشهيد الصدر : ٢٦.
(٦) مجموعة أشعار الحياة : ٨٦.
(٧) ينظر محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ،، مشروعه التغييري ووقائع الاغتيال: ٢٩٣ ـ ٢٦٠ .
(٨) مجموعة أشعار الحياة : ٥٦.
(٩) المصدر نفسه : ٥٨.
(١٠) ينظر تاريخ الحيرة والكوفة الاطوار المبكرة للنجف الاشرف : ٢٧٦.
(١١) ينظر تاريخ النجف الاجتماعي : ٢٣٦.
(١٢) النجف وحركة التيار الاصلاحي(١٩٠٨ ـ ١٩٣٢) :٢٠.
(١٣) الاثر القرآني في نهج البلاغة : ١٦.
(١٤) المصدر نفسه : ٤٦.
(١٥) مجموعة أشعار الحياة : ١٦٩.
(١٦) سورة إبراهيم :الاية ٧.
(١٧) مجموعة أش(١٧)سورة إبراهيم :الاية ٧.
عار الحياة : ٢٢٨ .
(١٨) سورة القصص : الآية ٧٨.
(١٩) مجموعة أشعار الحياة : ٢٥٤.
(٢٠) سورة الدخان : الآية ٢٩.
(٢١) مجموعة أشعار الحياة : ١٩٥ .
(٢٢) سورة العلق : الآية ١٥..
(٢٣) مجموعة أشعار الحياة : ٤٣.
(٢٤) سورة يس : الاية ٣٩.
(٢٥) مجموعة أشعار الحياة : ٤٩.
(٢٦) سورة الواقعة : الاية ٣٣.
(٢٧) *مجموعة أشعار الحياة* :١٩٧ .
(٢٨) المصدر نفسه : ١٩٥.
(٢٩) مجموعة أشعار الحياة : ٢٧٧ـ ٢٧٨.

Research Summary:

The research deals with a world of Najaf scholars who left a great impression in the history of Iraqi society. It was a loud cry against tyranny and was silenced by the hand of injustice and aggression, but this cry was echoed in the waves shaking the thrones of tyrants, and we will touch this character through the words and poems that are a mirror of his thoughts and concerns The impact of heritage in his poetry, the poet is the son of the environment in which he lives past and present.

The first research was focused on the life of Mr. Mohamed Mohamed Sadiq al-Sadr.

It was necessary to discuss the Najaf social and scientific environment because of the obvious impact in his hair

The second topic was a pause at the impact of the religious heritage in his poetry. This was the first major influence in his poetry, and this is natural for a world raised in an environment that has become religious.

Through our estrangement to the office of Mr. Mohamed Mohamed Sadiq al-Sadr, we found a poem that represents the reality of Mr. Sadr and his obsessions and it was a clear poetry almost without the workmanship and decoration. He mentioned this in the preface of his poems: "I deliberately moved away from

the brilliant literary title to represent my actual life, And almost devoid of illusion and imagination.(

His poetry was words expressing feelings that he might have wanted to lighten through his poetry. The aim was not to take the hair in a way or a craft, as Mr. Sadr said in the introduction to his poetry. It seems that Mr. Sadr's position in the reference is what kept this talent and poetry in this

And has prevented the emergence of a broader horizon and more Egala in the world of poetry has been Mr. Sadr capable of it has the talent and culture, but tried to stay in these limits and fit with his place in the reference.

Mr. Sadr's poetry is one of the most reliable sources in the study of Iraqi society in general and the Najafi community in particular and its traditions, traditions and events.